

## الانقياد شرط في الجهاد\*

الانقياد، أو ما يسمى في العرف العسكري بالانضباط أو الطاعة العمياء شرط أساسي في الجنديّة عبر القرون، والتاريخ حافل بالعبء والدروس، وكلها تفيّد أن الانقياد والانضباط كانا ولا يزالان شرطان أساسيان في النجاح العسكري وكسب المعارك.

ولسنا في حاجة إلى استقاء تلك العبر والدروس من تاريخ الأمم القديمة، كالمقدونيين والفرس والرومان الذين تمكنوا بحسن الانقياد والتفاني والطاعة العمياء لقوادهم من اكتساح الأقطار والسيطرة على الأراضي والبحار.

كما لسنا في حاجة أيضاً إلى استقاء تلك العبر والدروس من مواقف الأمم المعاصرة من ألمان وشيوعيين، ويابان وصينيين، وما ضربوه من الأمثال الرائعة في الطاعة العمياء لقوادهم دون أن يكون لأحد منهم أي هدف سام أو غرض نبيل غير التفوق وكسب الحرب.

نعم، لسنا في حاجة إلى أخذ الدروس من هؤلاء وأولئك، فلدينا تاريخنا الإسلامي وهو حافل بأروع الدروس وأنفعها في انقياد الأسلاف وانضباطهم، لالكسب المعارك والتفوق الحربي، وإنما لتكون كلمة الله عز وجل هي العليا، ودينه الذي فيه خير الإنسانية وأمنها وسعادتها هو الغالب المنتصر.

فن غزوة بدر مثلاً نستطيع أن نستفيد أروع الدروس في الانقياد

---

(هـ) نشرت بمجلة الحرس الوطني عدد ٤ ربيع الثاني ١٤٠١هـ.

والانضباط إذ فيها انتصر ثلاثمائة وسبعة عشر مسلماً قليلو العدة والعتاد على ألف وثلاثمائة مقاتل من المشركين المسلحين تسليحاً كاملاً.

ومن غزوة (حنين) عندما أعجب المسلمون كثرتهم وأهملوا الانقياد والانضباط لأوامر الرسول صلى الله عليه وسلم نستطيع أن نستفيد أهم الدروس في الهزيمة فلم يغن المسلمين قوتهم ولا كثرة عددهم لتركهم الانقياد والانضباط، وإنما ضاقت عليهم الأرض بما رحبت ثم ولّوا مدبرين، قال الله تعالى : (لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم وليتم مدبرين، ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل جنوداً لم تروها وعدب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين) التوبة آية ٢٥.

وهناك مواطن كثيرة ووقائع عديدة انتصر المسلمون فيها نتيجة انقيادهم وانضباطهم، كما أن هناك مواطن كثيرة تركوا فيها الانقياد والانضباط فنوا بأبشع الهزائم التي مازالوا يجنون مغباتها وآثارها حتى اليوم.

فما هذا الضعف في قواهم والتفرق في كمنتهم وسيطرة الكافرين على معظم أمور العالم الإسلامي وخيراته وثرواته، إلا نتيجة حتمية لتلك الهزائم التاريخية، وهو موقف حذرنا منه الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في قوله : (يوشك أن تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها، قالوا أومن قلة نحن يومئذ يارسول الله ؟ قال : لا، إنكم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن.. قالو : وما الوهن يارسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت، زواه أبو داود بإسناد صحيح.

إن الانقياد والامتثال لتعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية مقدمان على طاعة القادة وأولي الأمر لأن الله تعالى يقول : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم)، فطاعة الله عز وجل والرسول صلى

اللّٰه عليه وسلم مقدمة على طاعة أولي الأمر والقادة، لأن من لم يطع اللّٰه عز وجل ورسوله صلّى اللّٰه عليه وسلم فيما أمرا به ونهيا عنه، فحريّ به أن لا يطيع أمره وقائده.

ولهذا فإنه عندما أهمل المسلمون، أمراء ومأمورين قادة ومقودين، الإنقياد والانضباط أصيبوا بالهزيمة وأخذتهم سيوف الكفار والمشركين في أكثر من معركة دارت بين جيش الإسلام وأعدائه.

ومقارنة بسيطرة بين أول معركة وآخر معركة بين الإسلام والكفر في إسبانيا، نجد أن جيش الإسلام خلف قائده المغوار طارق بن زياد كان على قلته متراصاً في صفوفه، قوياً في إيمانه، ليس فيه أناني ولا متعاس ولا متخاذل، وبذلك تمكن لا من فتح الأندلس فحسب، وإنما من اكتساح أوربا حتى بلغ إلى مشارف فرنسا.

أما في معركة (العُقَاب) التي جرت سنة ٦٠٧ هـ بين جيش الخليفة الموحي محمد الناصر وبين جيش الأسبان، فقد حلت بالجيش الإسلامي هزيمة لم يسمع في التاريخ بمثلها إذ كان قوامه نصف مليون مقاتل لم ينج إلا من لاذ بالفرار.

وما ذلك إلا لأن المسلمين كان قد دبّ فيهم الضعف والوهن، وغرقوا في فتنة الدنيا وخضم الهوى ولم يقدرُوا ضرورة الحزم والإنقياد وأهمية التفاني والانضباط، فكانت هزيمتهم السبب الأول في سقوط تيجان ملوك الطوائف مع رؤوسها وضياع إسبانيا مع أندلسها.